The role of the Circassians in ending the state of the Mamluks(693-784 AH/1293-1382 AD)

Dr. Ghada Hassan [*]
Hiba Aboud [**]

(Received 30 / 12 / 2019. Accepted 15 / 6 / 2020)

□ ABSTRACT □

The Mamluks established in the seventh century AH / thirteenth century AD an Islamic state sprawling over the ruins of the Ayyubid state, which included Egypt and the Levant, and its rule spanned more than two and a half centuries ago, its beginning was at the hands of the marine Mamluks and their powerful sultans such as Zahir Baybars, Mansour Qalawun and Nasser Muhammad bin Qalawun, During the era of the caliphs of Nasser Muhammad bin Qalawun, the Mamluk state witnessed the control of senior princes over the rule and increased competition between Turkish and Mamluk Mamluk Mammals, which constituted a factor of the weakness and fall of the Mamluk Maritime state after one of the Circassian princes, a plum, managed to depose a R. Sultan of descendants of al-Nasir Muhammad, and he took the throne in 784 AH / 1382 AD.

Key words: Turkish Mamluks, Circassian Mamluks, Nasser Muhammad bin Qalawun, Al-Zahir Barquq, Fall of the Mamluk Maritime State

[*]**Assistant professor, Department of History, Faculty of Art and Humanities, Tishreen University, Lattakia, Syria**
[**] **Postgraduate Student, Department of History , Faculty of Art and Humanities, Tishreen University, Lattakia, Syria**

دور الجراكسة في إنهاء دولة المماليك البحرية (693-784هـ/1293-1382م)

د. غادة حسن*

هبة عبود**

(تاريخ الإيداع 30 / 12 / 2019. قبل للنشر في 15 / 6 / 2020)

ملخّص

أسس المماليك في القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي دولة إسلامية مترامية الأطراف على أنقاض الدولة الأيوبية، شملت مصر وبلاد الشام، وامتد حكمها أكثر من قرنين ونصف من الزمن، كانت بدايتها على يد المماليك البحرية وسلاطينها الأقوياء كالظاهر بيبرس والمنصور قلاوون والناصر محمد بن قلاوون، وفي عهد خلفاء الناصر محمد بن قلاوون شهدت الدولة المملوكية سيطرة كبار الأمراء على الحكم وازدياد التنافس بين المماليك الأتراك والمماليك الجراكسة الأمر الذي شكل عاملا من عوامل ضعف الدولة المملوكية البحرية وسقوطها بعد أن تمكن أحد أمراء الجراكسة وهو برقوق من خلع آخر سلطان من أحفاد الناصر محمد بن قلاوون، وتوليه العرش سنة784هـ/1382م.

الكلمات المفتاحية: المماليك الأتراك، المماليك الجراكسة، الناصر محمد بن قلاوون، الظاهر برقوق، سقوط دولة المماليك البحرية

* **أستاذ مساعد – قسم التاريخ – كلية الآداب والعلوم الإنسانية – جامعة تشرين – اللاذقية – سورية.**

** **طالبة دراسات عليا (دكتوراه)– قسم التاريخ – كلية الآداب والعلوم الانسانية– جامعة تشرين – اللاذقية – سورية**

مقدمة:

شهد النصف الثاني من القرن السابع الهجري/الثالث عشر الميلادي بروز قوة جديدة في المشرق العربي الإسلامي، تمثلت بدولة المماليك البحرية التي قامت على أنقاض الدولة الأيوبية في مصر وبلاد الشام سنة 648هـ/1250م تزامناً مع سقوط الخلافة العباسية في بغداد سنة 656هـ/1258م على يد المغول، واستمرت حتى سنة 784هـ/1382م التي تعد بداية قيام دولة المماليك البرجية "الجراكسة"

وقد تعاقب على حكم الدولة المملوكية البحرية عدد من السلاطين الأقوياء ذوو الأصل التركي اللذين كان لهم أثر كبير في الدولة العربية الاسلامية في مصر وبلاد الشام كالظاهر بيبرس (658-676هـ/1260-1277م) والمنصور قلاوون(678-689هـ/1279-1290م) الذي نجح بتأسيس بيت حاكم يحمل اسمه ظل يحكم الدولة أكثر من قرن من الزمن، على الرغم من أن المماليك لم يعترفوا بمبدأ الوراثة في الحكم، ويمكن تفسير نجاح أسرة آل قلاوون في إقامة نظام الوراثة إلى اثنين من سلاطينهم المنصور قلاوون وابنه الناصر محمد بن قلاوون اللذان حكما مدة طويلة تمكنا خلالها من تحقيق إنجازات عديدة إن كانت على الصعيد الخارجي من خلال انتصاراتهم على المغول الإيلخانيين والفرنجة والنوبيين، أو على الصعيد الداخلي من خلال تحقيق استقرار الأوضاع الداخلية والاقتصادية.

كانت البدايات الأولى لفرقة المماليك البرجية منذ عهد السلطان قلاوون الذي حرص على أن تكون هذه الفرقة المملوكية الجديدة من الجراكسة لا من الأتراك أو غيرهم من الفرق المملوكية الأخرى، وذلك لوفرتهم في الأسواق ورخص ثمنهم مقارنة بالعناصر الأخرى، فأكثر السلطان قلاوون من هذه الفرقة وجعل إقامتهم في أبراج القلعة لذلك أطلق عليهم اسم البرجية، وقد حاول المماليك الجراكسة طوال القرن الثامن الهجري/ الرابع عشر الميلادي الوصول إلى الحكم ونجحوا في هذا الأمر في عهد خلفاء الناصر محمد بن قلاوون حين تمكن الأمير الجركسي برقوق من خلع السلطان أمير حاجي بن شعبان من أحفاد الناصر محمد بن قلاوون وتولى السلطنة سنة 784هـ/1382م.

أهمية البحث وأهدافه:

تأتي أهمية هذا البحث من خلال محاولته رصد أحوال الدولة المملوكية في مرحلة من مراحلها الدقيقة، وما طرأ عليها من تغيرات، ومحاولة معرفة الدوافع الحقيقية للاضطرابات الداخلية، والأسباب التي أدت إلى النزاع بين المماليك الأتراك والمماليك الجراكسة والذي تطور حتى أثمرت جهود الجراكسة وتمكنوا من الوصول إلى العرش، جميع هذه الأحداث بحاجة للدراسة ولا غنى عنها لفهم حقيقة الأوضاع في تلك المرحلة.

منهجية البحث:

سيعتمد البحث على المنهج الوصفي التحليلي، وذلك بجمع المادة العلمية المطلوبة من مختلف المصادر والمراجع والمقالات المتعلقة بالموضوع، وتحليلها ومقارنتها بما يماثلها من الكتابات، للخروج بفكرة تقودني للوصول إلى الحقيقة العلمية التاريخية، وسيستند البحث على مصادر ومراجع مهمة ومتنوعة لمؤرخين عاصروا الأحداث.

النتائج والمناقشة:

1- ظهور الجراكسة على مسرح الأحداث:

إن الدارس للتاريخ المملوكي يجد صفة مميزة له هي العصبية، فلكل سلطان عصبية أو طائفة خاصة فيه من المماليك، وبقدر ما تقوى عصبية السلطان ويزداد عدد مماليكه بقدر ما يقوى السلطان، الأمر الذي أدركه المنصور قلاوون بعد توليه السلطنة حين شعر بخطر المماليك الظاهرية التركية التي تنتمي الى الظاهر بيبرس وذلك في إحدى حملاته وبينما ابنه الأشرف خليل نائباً عنه في القاهرة أرسل إليه خبراً بأن سلامش وخضراً ابنا الظاهر بيبرس قد راسلا المماليك الظاهرية وأنه يخشى عاقبة ذلك، فجاء رد السلطان المنصور قلاوون بأن يخرجا وأمهما إلى ثغر الاسكندرية ومن ثم إلى القسطنطينية[1].

دفعت هذه الأحداث المنصور قلاوون إلى إنشاء عصبة جديدة من المماليك ترتبط به وتختص بالولاء له، وتختلف في أصولها عن الطوائف المملوكية الأخرى من الأتراك والخوارزميين والتركمان والمغول، فاختار عنصراً جركسياً من بلاد الجركس الواقعة شمال القفقاس بين منطقتين تعرف إحداها ببلاد الجركس الشمالية وتقع ضمن حوض نهر ترك وبلاد الجركس الجنوبية الواقعة على نهر قوبان وقسم من الشاطيء الشرقي للبحر الأسود، والجراكسة كما يبين الدكتور يوسف عزت في كتابه" تاريخ القوقاز" أنهم من السلالة الآرية وكلمة آري تعني بالسنسكريتية الهندية أصيل ونجيب، ومنها اشتقت كلمة (أريستوقراط) للدلالة على النبلاء ذوي الأصالة، والاسم القومي للجراكسة هو(أديغة) ومعناه الإنسان الكامل[2].

أما سبب اختيار هذا العنصر فيعود لغارات المغول على بلادهم في أواخر القرن السابع الهجري/الثالث عشر الميلادي نتيجة الصراع الذي كان دائراً بين مغول القبجاق ومغول فارس الأمر الذي جعل أعداداً كبيرة من أبناء الجراكسة تدخل سوق النخاسة[3]، مما أدى إلى انخفاض أسعارهم بالمقارنة مع العناصر التركية الأخرى، حيث بلغ سعر المملوك الجركسي حوالي مائة وخمسة عشر دينارا مقابل سعر المملوك التركي حوالي مائة وخمسة وثلاثون دينارا، بالإضافة إلى ما اشتهرت قبائل الجركس بالشجاعة والقوة والفروسية بسبب طبيعة بلادهم القاسية، وهذا ما أكده الدكتور عبد السيد في كتابه "قيام دولة المماليك الثانية" عندما أشار إلى دور الظروف السياسية والاجتماعية والاقتصادية وطبيعة البلاد الجبلية في جعل مقاتلي الجركس مقاتلين أشداء من خلال قوله " على الرغم مما اشتهرت به هذه القبائل من الشجاعة والفروسية فإن بعثرتها بين مناطقها الجبلية ووديانها سهل خضوعها للمغول الذين اشتدت غاراتهم على

---

[1] المقريزي (تقي الدين أحمد بن علي)، السلوك لمعرفة دول الملوك، تح: محمد مصطفى زيادة، دار الكتب المصرية، القاهرة، ط1، 1936م، ج1، ق3، ص749.

[2] عزت (يوسف)، تاريخ القوقاز، تعريب: خوستوف عبد الحميد غالب بك، مطبعة استانبول، استانبول، 1912م، ص58، 65، 70، الناطور(حسام محمد اسماعيل)، دولة المماليك في عهد السلطان الظاهر برقوق، إشراف د. مصطفى الحياري، أطروحة دكتوراه، الجامعة الأردنية، 1998م، ص16.

[3] المقريزي، السلوك لمعرفة دول الملوك، ج1، ق1، ص260، طقوش (محمد سهيل)، تاريخ المماليك في مصر وبلاد الشام، دار النفائس، بيروت، لبنان، ط1، 1997م، ص326، سليمان(أحمد عبد الكريم)، العنصرية وآثرها في الجيش المملوكي، دار النهضة العربية، القاهرة، ط1، 1988م، ص57.

هذه البلاد منذ أواخر القرن الثالث عشر"، فضلا عن وسامة مظهرهم فأدخلوا في الخدم الخاصة وعلت مكانتهم وكبروا عمائمهم[1].

تولى المنصور قلاوون العناية بمماليكه الجدد بعد أن أسكنهم في أبراج القلعة، ومن هنا اتخذوا لقب البرجية[2]، وأشرف على تربيتهم وتدريبهم فنون الفروسية، وأغدق عليهم المال والطعام والملبس وعلمهم أصول الدين ويفخر بهم ويقول " كل الملوك عملوا شيئا يذكرون به مابين مال وعقارات، وأنا عمرت أسوارا وعملت حصونا مانعه لي ولأولادي وللمسلمين وهم المماليك"[3].

فقوة السلطان أو الأمير في تلك الفترة تقاس بكثرة مماليكه وإخلاصهم لهم، وكان يعتمد عليهم في تحقيق أهدافه وتوسيع نفوذه، ومنافسة غيره من أمراء المماليك، فقال المؤرخ ابن تغري بردي إن عدتهم وصلت اثني عشر ألفاً بتلك الفترة بينما يذكر المقريزي أنه بلغ ما اشتراه قلاوون من الجراكسة حوالي ثلاثة آلاف مملوك وسبعمائة[4].

كذلك سار الأشرف خليل على نهج والده المنصور في شراء الجراكسة إذ اشترى حوالي ألفي مملوك جركسي، فأصبحت أعداد هؤلاء الجراكسة كثيرة، الأمر الذي دفع إلى السماح لهم بمغادرة أبراجهم والنزول إلى القاهرة في النهار على أن يعودوا إليها أبراجهم ليلاً، فترتب على هذا الأمر زيادة تعلق المماليك الجراكسة بسيدهم الأشرف خليل، وانغماسهم بالحياة العامة فبلغوا مكانة عالية عند الأشرف خليل وغدوا أصحاب رتب عسكرية حتى أنهم سموا بالمماليك الأشرفية[5]. إن السياسة التي اتبعها المنصور قلاوون وابنه الأشرف خليل بالاعتماد على المماليك البرجية وإسناد الوظائف العليا لهم، أثارت المماليك الأتراك الذين دبروا المكائد والمؤامرات للإيقاع بالأشرف خليل ومن ثم قتله من قبل الأمير بيدرا[6] نائب السلطنة والأمير حسام الدين لاجين المنصوري[7].

---

[1] عبد السيد(حكيم أمين)، قيام دولة المماليك الثانية، تقديم: محمد مصطفى زيادة، دار القومية للطباعة والنشر، القاهرة، ط1، 1966م، ص12، طرخان (ابراهيم)، مصر في عصر دولة المماليك الجراكسة، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط1، 1960م، ص8-9 .

[2] ابن تغري بردي (جمال الدين أبو المحاسن)، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، تح: محمد حسن شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، د.ط ، 1992م، ج7، ص330، سليمان، العنصرية واثرها في الجيش المملوكي، ص60.

[3] المقريزي(تقي الدين أحمد بن علي)، المواعظ والاعتبار في ذكر الخطط والآثار، تح: أيمن فؤاد السيد، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، لندن، 2000م، ح2، ص213.

[4] المقريزي، السلوك لمعرفة دول الملوك، ج1، ق3، ص756.

[5] ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج8، ص43، عبد السيد، قيام دولة المماليك الثانية، ص13.

[6] الأمير بدر الدين بيدرا: تولى الوزارة في عهد المنصور قلاوون، وفي عهد الأشرف خليل تولى نيابة السلطنة سنة 689هـ/1290م، وكان وزير الأشرف خليل آنذاك ابن السلعوس الذي استبد بتدبير المملكة وطغى نفوذه على نفوذ بيدرا، وأخذ يدس له عند الأشرف خليل الذي قتله بالاشتراك مع امرائه سنة 693هـ/1293م، ثم تسلطن ولقب بالأمجد ليوم واحد حيث قتلته المماليك الأشرفية. انظر سليم(محمود رزق)، عصر سلاطين المماليك ونتاجهم العلمي والأدبي، المطبعة النموذجية، مصر، ط2، 1962، ص98.

[7] الأمير حسام الدين لاجين المنصوري، تولى السلطنة سنة 696هـ/1296م، كان مملوك "نور الدين علي بن الملك المعز أيبك، ولما خلع خلع المظفر قطز نور الدين علي من السلطنة، نهبت مماليكه وبيع للملك المنصور قلاوون وظل في خدمته حتى تسلطن المنصور قلاوون، فولاه نيابة السلطنة في دمشق، واستمر بها حتى عزله الأشرف خليل، فأثار هذا العزل الحقد بنفسه ودفعه للاشتراك في المؤامرة لقتله، وعندما تولى كتبغا الحكم تمرد عليه، وتسلم السلطنة بعد أن أبعد الناصر محمد إلى قلعة الكرك. انظر القرماني(أحمد بن يوسف)، أخبار الدول وآثار الأول في التاريخ، تح: أحمد حطيط، فهمي سعد، عالم الكتب، بيروت، ط1، 1992م، ج2، ص278.

2- أوضاع الجراكسة في عهد الناصر محمد بن قلاوون:

بدأ ظهور البرجية " الجراكسة" بشكل فعال ومؤثر على مسرح الأحداث بعد مقتل أستاذهم الأشرف خليل حين قاموا بالانتقام من قتلته ومن ثم تولية أخيه الناصر محمد بن قلاوون (693-694هـ/1293-1294م) السلطنة على الرغم من صغر سنه، ولم يكن اتفاق الأمراء بتولية الناصر عن إيمان بمبدأ الوراثة في الحكم، فالمماليك كما سبق وذكر لم يكونوا يؤمنون بهذا النظام، ولكنه كان اتفاقاً مؤقتاً إلى أن ينجلي الموقف ويدبر كل أمير أمره ويجمع أعوانه ليكون النصر للأقوى[1] .

أصبحت البلاد المصرية والشامية في عهد الناصر محمد بن قلاوون الذي تولى السلطة أكثر من مرة مسرحاً للنزاع بين الأتراك والبرجية، بحيث أصبح كل طرف يحاول القضاء على الطرف الآخر، وابتدأ الأمر بين الأمير زين الدين كتبغا[2] نائب السلطان والأمير سنجر الشجاعي[3] الذي كان يتولى منصب الوزارة، فاستعان كتبغا بالمماليك الأتراك بينما استعان الشجاعي بالمماليك البرجية، وقد تنبه الى هذا ابن اياس عندما أشار إلى "أن العسكر صاروا فريقين فريق مع الشجاعي وفريق مع كتبغا"[4].

ويمكن تفسير عدم وقوف البرجية إلى جانب كتبغا إلى شكوكهم بأن يكون له يد بمقتل سلطانهم الأشرف خليل على عكس الشجاعي الذي اعتمد على المماليك البرجية للوصول إلى السلطة بعد أن أوهمهم أن أصله منهم، بعكس معظم أقرانه في تلك الفترة الذين كانوا من المماليك الأتراك، فقد أورد ابن أيبك الدوادار نص حديث لسنجر الشجاعي لبعض الأمراء البرجية قوله لهم "أنتم منا وأنا منكم"[5] وفي هذا إشارة إلى أن سنجر الشجاعي ينتمي إلى الجنس الجركسي الذي الذي أكثر منه السلطان قلاوون وهذا ما استغله الشجاعي على حد تعبير المقريزي " استمال الأمراء البرجية والمماليك السلطانية، وفرق فيهم نحو الثمانين ألف دينارا سراً، وقرر معهم أن من أتاه برأس أمير من الأمراء الذين مع كتبغا فإنه يعطيه إقطاعه"[6].

---

[1] المقريزي، السلوك لمعرفة دول الملوك، ج1، ق3، ص 794، عبد السيد، قيام دولة المماليك الثانية، ص13.

[2] زين الدين كتبغا التركي المغولي: من أسرى التتار الذين أسرهم المنصور قلاوون في موقعة حمص سنة680هـ/1281م، تولى سلطنة المماليك سنة 694هـ/1294م، لكنه سرعان ما خلع منها بعد سنتين، وقع خلالها في الديار المصرية الغلاء وانتشار الوباء، ولما خلع من السلطنة تولى نيابة صرخد، توفي سنة 702هـ/1302م. انظر ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ج8، 50.

[3] علم الدين سنجر الشجاعي المنصوري وزير الديار المصرية، جلب وهو صغير السن إلى دمشق، ثم انتقل إلى مصر حيث اشتراه الأمير عز الدين أيبك الشجاعي فتلقب بالشجاعي، وعمل في خدمة المنصور قلاوون وتلقب بالمنصوري، واستمر تابعاً لقلاوون حتى تسلطن فارتفع شأنه وتدرج بسلم الوظائف حتى قتل سنة 693هـ/1294م على يد أتباع كتبغا. انظر ابن أيبك الصفدي (صلاح الدين خليل)، الوافي بالوفيات، تح: أحمد الأرناؤوط، تركي مصطفى، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط1، 2000م، ج15، ص289، زيان(آمال حامد)، الأمير علم الدين سنجر الشجاعي والصراع حول سلطنة المماليك، مجلة كلية الآداب، جامعة القاهرة، ، مج11،ع2، 2011م، ص12.

[4] ابن إياس (محمد بن أحمد الحنفي)، بدائع الزهور في وقائع الدهور، تح: محمد مصطفى زيادة، مكتبة دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، ط1، 1975م، ج1، ق1، ص381.

[5] ابن أيبك الدوادار (أبي بكر بن عبدالله)، كنز الدرر وجامع الغرر، تح: أولرخ هارمان، مركز ودود للمخطوطات، القاهرة، ط1، 1973م، ج8، ص350.

[6] المقريزي، السلوك لمعرفة دول الملوك، ج1، ق3، ص798، ابن اياس، بدائع الزهور، ج1، ق1، ص381.

لقد استمر النزاع بين كتبغا وسنجر الشجاعي الذي هو في الظاهر نزاع بين نائب السلطنة والوزير لكنه في الواقع كان يعكس لنا صورة حية عن النزاع بين المماليك الأتراك والمماليك البرجية الذي انتهى بتمكن كتبغا من القضاء على خصمه الشجاعي أي انتصار الأتراك على البرجية، والسبب في هذا النصر يعود إلى خطأ الشجاعي بالاعتماد على فئة البرجية في ذلك الوقت لأنها لم تكن قد وصلت إلى مرحلة من القوه بحيث تؤهله للوصول الى عرش دولة المماليك خاصة أن المماليك البحرية الأتراك مازالوا قوة لايستهان بها.

ومن بعد الشجاعي بدأ كتبغا بالتخلص من البرجية ووجه لهم ضربة قوية عن طريق إنزالهم من الأبراج في قلعة الجبل فقد ذكر ابن اياس أن كتبغا قد أنزلهم من القلعة وأسكنهم في أبراج خارج سور القاهرة ولم يسمح لهم بالخروج من الأبراج على عكس ما كان متبع في عهد الأشرف خليل الذي سمح لهم بالنزول من الأبراج في النهار والعودة إليها ليلاً، كما قام بتوزيع قسم منهم على الأمراء للحط من شأنهم فأصبحوا مماليك أمراء بعد أن كانوا مماليك سلطانية، وسجن عدد كبير من البرجية اللذين خشي خطرهم في سجن الاسكندرية[1].

على الرغم من الجهود التي بذلها كتبغا لإضعاف شأن البرجية إلا ان النتائج جاءت عكسية حيث ازدادوا تماسكا واصرارا كعصبية للانتقام من الترك ومن وراءهم كتبغا عندما قام المماليك البرجية سنة 694هـ/1294م الذين أخرجوا من القلعة بالعودة إلى مكانهم القديم فاتجهوا إلى الاصطبلات التي كانت تحت القلعة واستولوا على ما بها من خيول، وبعدها اتجهوا إلى دار الوزارة، ثم إلى سوق السلاح واستولوا على ما به من سلاح، ثم اتجهوا إلى القلعة وحاصروها، إلا أن حركتهم هذه لم يكتب لها النجاح عندما تمكنت حامية القلعة من قتل جماعة منهم، والقبض على الآخرين[2].

استغل كتبغا هذه الأوضاع المضطربة واتخذها ذريعة لخلع الناصر محمد بن قلاوون بالإضافة إلى تحريض الأمير حسام الدين لاجين له وهذا ما أكده الدكتور محمد سرور في كتابه" دولة بني قلاوون في مصر" عندما أشار إلى دور لاجين في خلع الناصر محمد لسببين أولهما تخوفه من تآمر المماليك البرجية(الأشرفية) ضده وقتله انتقاماً لأستاذهم الأشرف خليل، والثاني أن الناصر محمد بن قلاوون ما إن يبلغ سن الرشد حتى يعمل على التخلص من كتبغا ولاجين على حد السواء، لذلك سارع كتبغا إلى عزله وتوليه السلطنة سنة 694هـ/1294م[3].

اجتمع العداء حول كتبغا بالإضافة لما صحب عهده من أزمات اقتصادية واجتماعية، الأمر الذي دفع الأمير حسام الدين لاجين للسيطرة على الأمور وإعلان نفسه سلطانا سنة 696هـ/1296م[4]، لكن موقف البرجية من الترك الذي تصدر زعامتهم السلطان لاجين لم يتغير، فقد أصبحوا عنصراً مهماً في الدولة وخاصة في الجيش وميادين القتال، وأصبحت سياستهم تتجه من الموالاة لبيت قلاوون إلى الطمع والاستئثار بالسلطنة، والدليل على ذلك قتلهم السلطان

[1] ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج8، ص39، 42، ابن اياس، بدائع الزهور، ج1، ق2، ص383، 384، زيان، الأمير علم الدين سنجر الشجاعي والصراع حول سلطنة المماليك، ص33.

[2] المقريزي، السلوك لمعرفة دول الملوك، ج1، ق3، ص805- 806.

[3] ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج8، ص48، 49، ابن اياس، بدائع الزهور، ج1، ق2، ص387، سرور (محمد جمال الدين)، دولة بني قلاوون في مصر، الحالة السياسية والاقتصادية بوجه خاص، دار الفكر العربي، القاهرة، د.ط، ص35.

[4] ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج8، ص54،

لاجين عن طريق الأمير سيف الدين كرجى[1] سنة 698هـ/1299م. وبقتل لاجين وخلو عرش مصر حاول المماليك البرجية إثبات نفوذهم عندما اجتمع الأمراء للتشاور فيمن يلي عرش المماليك فتقدم الأمير كرجى قاتل لاجين ورشح زميله الأمير طغجى[2] للسلطنة وهو لنيابة السلطنة باعتباره هو الذي قتل لاجين وأخذ بثأر أستاذهم الأشرف خليل، لكن الأمراء الاتراك لم يرحبوا بهذا الترشيح، وبدأ الخلاف والمنافسات والفتنة من جديد بين الأتراك والبرجية والتي انتهت بقتل الأمير طغجى وكرجى، ولم يكن بين الأمراء من هو أهل لثقتهم جميعاً فاستقر الرأي أخيراً بينهم على استدعاء الناصر محمد السلطان الشرعي من الكرك لتسلم سدة الحكم للمرة الثانية سنة 698هـ/1299م[3].

على الرغم من فشل محاولتهم فإن هذا لم يمنعهم من التأثير بالأحداث السياسية، فقد رجع نشاط البرجية في سلطنة الناصر محمد بن قلاوون الثانية وبشكل قوي حيث ذكر المقريزي سنة (698هـ/1299م) "وقويت شوكة البرجية بديار مصر وصارت لهم الحمايات الكبيرة وتردد الناس إليهم في الأشغال وقام بأمرهم الأمير بيبرس الجاشنكير[4] وأمَر منهم عدة....وشرعوا إلى أخذ الاقطاعات"[5]، في الوقت الذي تضاءل نفوذ السلطان الناصر محمد بن قلاوون ووقع فريسة الخلاف بين الأميرين الكبيرين سلار[6] نائب للسلطنة ومن وراءه الأتراك والأمير بيبرس الجاشنكير الأستدار[7] ومن وراءه البرجية، اللذان تمادى في التضييق عليه نظراً لصغر سنه وعدم درايته بأمور الحكم، فقرروا له راتب شهري لا يفي حاجته، فخرج الى الكرك بعد أن أدرك أن الأميرين سلار وبيبرس سيلعبان نفس الدور الذي سبق أن لعبه كتبغا وسنجر الشجاعي[8].

---

[1] الأمير سيف الدين كرجى بن عبدالله : كان من أهم الأمراء البرجية في سلطنة حسام الدين لاجين، واشترك مع الأمير طغجى في قتل لاجين، مات سنة 698هـ/1298م. انظر ابن تغري بردي(جمال الدين أبو المحاسن يوسف)، المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي، تح: محمد أمين، تق: سعيد عاشور، الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة، ط1، 1984م ، ج6، ج9، ص126.

[2] الأمير سيف الدين طغجى بن عبد الله الأشرفي: أصله من مماليك الأشرف خليل بن قلاوون، بعد مقتل الأشرف خليل أصبح أميرا في سلطنة كتبغا ولاجين، ثم اشترك مع كرجى بقتل لاجين وتولى نيابة السلطنة لمدة أربعة أيام حيث قتل سنة 698هـ/1298م، انظر ابن تغري بردي، المنهل الصافي، ج6، ص414.

[3] المقريزي، السلوك لمعرفة دول الملوك، ج1، ق3، ص 857، 868، ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج8، ص83، 85، 93، النويري(شهاب الدين أحمد)، نهاية الأرب في فنون الأدب، تح: نجبل فواز، حكمت فواز، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ت، ج31، ص226، 234، سرور، دولة بني قلاوون في مصر، ص 40، سليمان، العنصرية واثرها في الجيش المملوكي، ص67.

[4] بيبرس الجاشنكير: أصله من مماليك المنصور قلاوون، رباه وترقى وصار من جملة الأمراء في الديار المصرية، تولى السلطنة سنة 708هـ/1309م واستمر بها حتى عودة الناصر محمد إلى سلطنته الثالثة سنة 709هـ/1310م حيث قبض عليه وقتله. انظر ابن تغري بردي، المنهل الصافي، ج3، ص467، 473، والجاشنكير هو الأمير الذي يقوم بتذوق الأكل والمشروب قبل السلطان أو الأمير خوفاً أن يدس فيه سم أو نحوه، انظر القلقشندي، صبح الأعشى، ج5، ص460

[5] المقريزي، السلوك لمعرفة دول الملوك، ج1، ق3، ص 875- 876.

[6] سيف الدين سلار بن عبدالله المنصوري، تركي الجنس اشتراه المنصور قلاوون وأعطاه لولده الصالح علي، وعندما توفي علي عاد ثانية ثانية إلى ملك قلاوون وخدم بعده ولده الأشرف خليل، وفي سلطنة الناصر محمد الثانية أصبح نائب السلطنة بالديار المصرية إلى أن مات جوعا في الاعتقال بقلعة الجبل في سلطنة الناصر الثالثة سنة 710هـ/1310م. انظر ابن تغري بردي، المنهل الصافي، ج6، ص7، النويري، نهاية الأرب في فنون الأدب، ج31، ص234.

[7] الأستدار: لقب مملوكي يطلق على القائم على الشؤون الخاصة للسلطان وأمر بيوت السلطان من المطابخ والشراب وغيره، ، أما إستدار بكسر الهمزة ومعناه الأمير الذي يتولى قبض المال، وهو لقب لمن يتولى قبض مال السلطان أو الأمير وصرفه. وبناء على هذا فإن بيبرس بما أنه كان جاشنكير فإنه تولى الأستدارية، انظر القلقشندي، صبح الأعشى، ج5، ص457.

[8] ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج8، ص139.

في تلك الأثناء بلغ نفوذ البرجية درجة كبيرة وأصبح لهم رأي مسموع في اختيار السلاطين فعندما اختار الأمراء الأمير سلار لتولي السلطنة لم يقبل البرجية كونه زعيم الأتراك المنافسين لهم وفي حال توليه السلطنة يعني تضائل نفوذهم لحساب الأتراك، وكادت تقع فتنة كبيرة حتى إذا ما تنازل سلار عن المنصب ورشح الأمير بيبرس الجاشنكير فتسارع البرجية وقالوا "صدق الأمير سلار وأخذوا بيد بيبرس وأقاموه كرهاً"[1] ليكون بذلك أول من نجح من البرجية باعتلاء عرش دولة المماليك. لكن الأوضاع لم تكن بهذه السهولة أمام بيبرس الجاشنكير بعد تسلمه السلطنة سنة 708هـ/1309م بوجود الأتراك وزعيمهم سلار، بالإضافة الى تردد بعض أمراء الشام بالاعتراف به سلطاناً، كذلك لم ينجح بيبرس في الحصول على تأييد كافة عناصر الجيش الذي انقسم إلى فريقين احدهما مؤيد للناصر محمد كونه السلطان الشرعي وفريق آخر مع بيبرس الجاشنكير وكانت الاغلبية مع الناصر محمد ، الأمر الذي أدى إلى عدم بقاء السلطان لفترة طويلة في سلطنته وعودة الناصر محمد إلى السلطنة للمرة الثالثة سنة 709هـ/1310م[2]. إن محاولة المماليك البرجية اغتصاب الحكم عن طريق بيبرس الجاشنكير دفعت الناصر محمد بن قلاوون إلى تغيير سياسته تجاه المماليك البرجية وعمل على الانتقام منهم وخاصة من بيبرس الجاشنكير، وأكثر من المماليك الأتراك ومنحهم الكثير من الأموال والمناصب الرفيعة على عكس البرجية فقد عمل على تشتيتهم وتوزيع البعض منهم على الأمراء الأتراك وقتل الأخرين[3]. وهذا يعني انتصار الترك على البرجية وفقدانهم الأمل في الوصول الى العرش مرة أخرى في هذه المرحلة.

3- أوضاع الجراكسة في عهد خلفاء الناصر محمد بن قلاوون:

امتازت سلطنة الناصر محمد بن قلاوون الثالثة (709- 741هـ/1310-1340م) بطول المدة الزمنية والاستقرار النسبي في أوضاع الدولة الداخلية، على عكس الفترة التي جاءت بعد وفاته فقد أخذت الدولة المملوكية تعاني من أزمات داخلية وصراعات على السلطة بعد استلام الحكم في مصر أولاد الناصر وأحفاده الذين أصبحوا ألعوبة بأيدي كبار الامراء يعزلوهم أو يبقوهم في الحكم حسب أهوائهم، وكان مما يرجح كفة أحد المترشحين من أولاد الناصر وأحفاده للعرش صغر سنه، أي أصغرهم سنا هو أجدرهم وأمثلهم للعرش في نظر الأمير المتحكم، فإذا قوي أمر السلطان وبدا له أن يتدخل في شؤون الدولة ويباشر السلطة بنفسه ويستقل بتصريف الأمور كان مصيره القتل والخلع، لذلك قنع سلاطين هذا الفترة من السلطنة بالاسم فقط، وخير مثال على ذلك بأن السلطان علاء الدين كجك بن محمد بن قلاوون قد تسلطن بعد أن خلع أتابك[4] السلطان قوصون[5] أخاه الملك المنصور أبا بكر سنة 742هـ/1341م وكان عمره آنذاك

[1] ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج8، ص185، ابن ايبك، كنز الدرر، الدر الفاخر، ج9، ص157، 158.

[2] ابن تغري بردي، النجوم، ج8، ص268، المقريزي، السلوك، ج2، ق1، ص69، ابن اياس، بدائع الزهور، ج1، ق1، ص429، ابن ايبك، كنز الدرر، الدر الفاخر، ج9، ص197، سليمان، العنصرية وأثرها في الجيش المملوكي، ص84.

[3] ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج9، ص45، المقريزي، السلوك لمعرفة دول الملوك، ج2، ق1، ص81، طقوش، تاريخ المماليك في مصر وبلاد الشام، ص334.

[4] الأتابك: معناه الوالد الأمير أو مربي الأمير، وهو أعلى رتبة في الجيش المملوكي، وأول من تلقب بهذا اللقب كان نظام الدولة وزير ملكشاه السلجوقي حين فوض إليه ملكشاه تدبير المملكة، انظر القلقشندي، صبح الأعشى، ج4، ص18.

[5] قوصون الساقي الناصري من مماليك الناصر محمد بن قلاوون، ولما مات الناصر محمد تعصب قوصون للمنصور أبا بكر وسلطنه، ودبر هو المملكة باسمه، ثم قتل المنصور ونازع الناصر أحمد فقتله سنة 742هـ/1341م. انظر ابن دقماق (إبراهيم بن محمد بن أيدمر

آنذاك خمس سنوات وقيل سبع سنوات، فاستقل قوصون بتدبير شؤون السلطنة ووصل الأمر من ازدياد نفوذ الأمراء وتلاعبهم بالسلاطين الصغار ما اورده ابن تغري بردي بأن الامير قوصون كان يتصرف في الأمور التي تحتاج إلى توقيع من السلطان بأن يمسك القلم بيده مع يد السلطان كجك ويريه كيف يكتب على المراسيم والمناشير[1].

توقفت محاولات البرجية للوصول إلى السلطة بعد محاولة بيبرس الجاشنكير واضطهادهم من قبل الناصر محمد بن قلاوون، واستمروا كذلك حتى عهد السلطان الكامل سيف الدين شعبان بن الناصر محمد حيث ثاروا ضده بقيادة الأمير غرلو[2] البرجي ويذكر الدكتور محمد سهيل طقوش أن السبب في ثورة البرجية ضد السلطان الكامل شعبان هو التضييق عليهم في النفقات حيث كان الكامل شغوفا بجمع الأموال وادخارها، فتمكنوا من عزله وتولية أخيه حاجي بن الناصر محمد السلطنة، الأمر الذي أدى إلى ازدياد نفوذ الأمير غرلو حتى أنه يخلو بالسلطان ويشير عليه بما يمضيه فلا يخالفه بشيء ويقول المقريزي وابن تغري بردي في ذلك "خرج عن الحد في التعاظم"[3]. جلب الأمير غرلو العديد من المماليك البرجية ورفع من مكانتهم على الأتراك وأراد أن يقوم بنفس الدور الذي لعبه بيبرس الجاشنكير الأمر الذي أثار حقد الأمراء الأتراك وأوقعوا الفتنة بين المظفر حاجي والأمير غرلو حتى قتلوه سنة 748هـ/1348م[4].

لم يحصل المماليك البرجية من ثورتهم هذه على نتائج إيجابية بل على العكس أدت إلى ازدياد نفوذ منافسيهم من الأتراك وتأرجحت السلطة بين الفريقين ترجح كفة كل منهما حينا حتى ظهر برقوق الجركسي[5] الذي نجح بالاستئثار بالسلطة وأسس دولة المماليك البرجية سنة 784هـ/1382م. فمن هو برقوق ؟ وكيف تمكن من ارتقاء عرش السلطنة في مصر وبلاد الشام وانهاء دولة المماليك الأتراك؟

4- جهود برقوق للوصول إلى العرش:

أغلب المصادر التي كتبت عن الظاهر برقوق ذكرت أنه من قبيلة "كسا" الجركسية[6]، ولم تحدد سنة ولادته باستثناء المقريزي الذي ذكر في روايته سنة 784هـ/1382م استلام برقوق السلطة والقائم بدولة الجراكسة أنه ولد تخميناً سنة 741هـ/1340م، وقد استند المقريزي على هذا العام لأنه ذكر في سنة 798هـ/1396م أن عمره سبع وخمسون سنة[1].

العلائي)، الجوهر الثمين في سير الخلفاء والملوك والسلاطين، تح: سعيد عاشور، مر: أحمد دراج، مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية، ط1، 1982م، ص367

[1] ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج9، ص122، ابن دقماق، الجوهر الثمين، ص368، عمر (علي)، دولة الظاهر برقوق وابنه في مصر، شركة نوابغ الفكر، القاهرة، ط1، 2008، ص13.

[2] الأمير شجاع الدين غرلو: أصله من مماليك الحاج بهادر العزي، خدم عند بكتمر الساقي وأصبح أميراخور، ثم تولى نيابة الشوبك وبعدها القاهرة، وقد قتل في سلطنة الظفر حاجي بن الناصر محمد سنة 748هـ/1347م، انظر ابن تغري بردي، المنهل الصافي، ج1، ص460.

[3] المقريزي، السلوك لمعرفة دول الملوك، ج2، ق3، ص735، ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج10، ص132، طقوش، تاريخ المماليك في مصر وبلاد الشام، ص335.

[4] ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج10، ص134، المقريزي، السلوك لمعرفة دول الملوك، ج2، ق3، ص737.

[5] الجدير بالذكر بأن المصادر المعاصرة بعد انتهاء عصر الناصر محمد بن قلاوون سنة741هـ/1340م وصفت المماليك البرجية وصفا عنصريا وأطلقت عليهم لفظ الجراكسة وهذا ان دل على شيء فإنه يدل على ازدياد عددهم وبالتالي تنامي قوتهم ووقوفهم ضد المماليك الأتراك وأصبحوا يشكلون خطرا على دولة المماليك البحرية. انظر، عبد السيد، قيام دولة المماليك الثانية، ص27.

[6] كسا: هي إحدى القبائل الجركسية الرئيسية الأربع (تركس، آركس، كسا، آص) وقد سكنت تلك القبائل في القسم الشمالي الغربي من القوقاس وقسماً من الشاطئ الشرقي للبحر الأسود، وقد خص الروس قبيلة كسا باسم "سرقسيان" في زمن متأخر، انظر ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج11، هامش(2)، ص184.

أما نشأته في بلاد الجركس فإنها غير معروفه كغيره من سلاطين دولة المماليك، فالمصادر العربية لم تشر إلى طبيعة الحياة التي عاشها برقوق في بلاد الجركس، أما المصادر الأجنبية المعاصرة التي اعتمد عليها الدكتور حسام الناطور في رسالته" دولة المماليك في عهد السلطان الظاهر برقوق" فيروي من خلالها أن برقوق كان يعيش في بلدة "Zicha" إحدى المقاطعات الروسية لوالدين مسيحين، وكان برقوق مسؤول عن إطعام الخنازير في إحدى المزارع، وأنه اختطف وبيع لأحد تجار الرقيق الذي بدوره جلبه إلى مدينة " كفا" الواقعة على البحر الأسود بالقرب من القفقاس، وعندما بلغ العشرين من عمره بيع في أحد أسواق الرقيق ببلاد القرم "بسوداق"، واشتراه هناك التاجر الخواجا فخر الدين عثمان بن مسافر[2] الذي بدوره جلبه إلى أسواق العبيد المصرية سنة 764هـ/1363م حيث اشتراه هناك الأتابك يلبغا العمري[3]من الخواجا عثمان في القاهرة[4] .

يذكر المقريزي أن اسمه الحقيقي الطنبغا وليس برقوق والأمير يلبغا هو الذي أطلق عليه برقوقاً لنتوء في عينه[5]، ولكن هذا ليس مؤكد وينفي الأمر ابن تغري بردي الذي ذكر أن والد برقوق وأقرباءه عندما قدموا إلى القاهرة سنة 782هـ/1380م واستقبلهم برقوق والامراء نادوه باسم برقوق، وهذا يدل على ان اسمه الحقيقي برقوق[6].

بدأ ظهور برقوق على مسرح الأحداث بعد أن اشتراه الأمير يلبغا العمري الذي سرعان ما لمس فيه الذكاء الخارق فلم تزد المدة السابقة على عتقه على أربع سنوات، ودأب يلبغا على تلقيبه بالشيخ لما أظهره من السبق في ميدان الفقه وسائر العلوم الدينية وسرعان ما جعل له مكانا مرموقاً لتفوقه في فنون الحرب والفروسية[7]، فأصبح برقوق من جملة مماليكه المقربين الذين اشترى منهم أعداداً كبيرة وسموا باليلبغاوية، والجدير بالذكر بأن هؤلاء خليط من الأتراك والجراكسة، وعددهم الكبير جعل الأمير يلبغا على جانب كبير من القوه التي مكنته من قتل السلطان الناصر حسن[8] سنة 762/ 1360م وتعين ابن اخيه المنصور محمد بن المظفر حاجي بن الناصر محمد سلطاناً، وبالتالي انتقال السلطنة إلى أحفاد الناصر محمد بن قلاوون، ولم يستمر المنصور محمد طويلا في السلطة فقد عزله الامير

---

[1] المقريزي، السلوك لمعرفة دول الملوك، ج3، ق2، ص463، 476.

[2] فخر الدين عثمان بن محمد بن أيوب بن مسافر الأسعردي تاجر في المماليك جلب برقوق، وفيما بعد جلب والد برقوق إلى ابنه في القاهرة، توفي سنة 783هـ/1381م، انظر ابن حجر العسقلاني(شهاب الدين أحمد): أنباء الغمر بأبناء العمر في التاريخ، دار الكتب العلمية، بيروت ،1986م، ج1، ص247.

[3] الأمير يلبغا العمري الخاصكي الأتابكي: أحد أمراء المماليك الأتراك وأستاذ الملك الظاهر برقوق، أصله من مماليك الملك الناصر حسن حفيد الناصر محمد بن قلاوون، وهو الذي قتل أستاذه سنة 762هـ/1360م واستمر في منصبه حتى قتله مماليكه سنة 769هـ/1367م. انظر عبد السيد، قيام دولة المماليك الثانية، ص31، 33.

[4] المقريزي، السلوك، ج3، ق2، ص476، القلقشندي، صبح الأعشى، ج4، ص458، الناطور، دولة المماليك في عهد السلطان الظاهر برقوق، ص16، 17.

[5] المقريزي، السلوك لمعرفة دول الملوك، ج3، ق2، ص463، 476، طرخان، مصر في عصر دولة المماليك الجراكسة، ص7.

[6] ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج11، ص149.

[7] ابن المقفع(ساويرس)، تاريخ مصر من خلال مخطوطة تاريخ البطاركة، تحقيق: عبد العزيز جمال الدين، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، ط1، 2012م، ج7، ص266.

[8] الملك الناصر حسن بن محمد بن قلاوون، تولى السلطنة بعد قتل أخيه المظفر حاجي سنة 748هـ/1347م، واستمر في سلطنته الأولى حتى سنة 752هـ/1351م حيث عزل وسجن بقلعة الجبل، ليعود إلى السلطنة سنة 755هـ/1354م واستمر بسلطنته الثانية حتى قتله الأتابك يلبغا العمري سنة 762هـ/1360م، انظر ابن دقماق، الجوهر الثمين، ص386، 397.

يلبغا وعين بدلا منه الاشرف شعبان سنة 764هـ/1362م[1]، وهذا دليل على قوة الصلاحية والنفوذ الذي كان يتمتع به يلبغا حينذاك فاصبح الحاكم الفعلي لدولة المماليك.

أخلص برقوق لسيده يلبغا العمري وثار معه على السلطان شعبان بن حسين سنة 768هـ/1366م بعد أن اشتد الخلاف بينهما، فقام يلبغا بتولية الأمير آنوك بن حسين السلطنة وقال" أنا أعينه، وأؤيده، ومن له الشوكة غيري" وبذلك أصبح على عرش مصر سلطانان، وهذا التصرف من يلبغا يؤكد استهانته بكل من حوله ويعطينا صورة صادقة عن سوء الحالة التي وصلت إليها البلاد في ذلك الوقت[2].

ومن ثم التف حول كل سلطان أتباعه وعمل كل فريق على تثبيت عرش سلطنته، فوقف يلبغا ومملوكه برقوق وقسم من مماليكه اليلبغاويين إلى جانب آنوك ضد الأشرف شعبان، لكن في الوقت نفسه كان يؤخذ على يلبغا أنه يعامل مماليكه بخشونة فكان يضرب الواحد منهم بالمقارع ويقطع ألسنة البعض الآخر ويعاقب المملوك أشد العقاب لذنب خفيف، الأمر الذي دفع بعض مماليكه للتفكير بقتله والوقوف إلى جانب السلطان الأشرف شعبان الذي استغل الوضع وتمكن من القضاء على يلبغا سنة 769هـ/ 1367م[3].

وعلى الرغم من القضاء على يلبغا إلا أن الثورات اليلبغاوية ضد الأشرف شعبان لم تتوقف، ويجدر الإشارة هنا إلى أن صراع الجراكسة في هذه المرة لم يتخذ صورته العنصرية كما حدث من قبل بل اتخذ صورة حزبية، ولعل هذا التغيير يرجع إلى قلة عدد الجراكسة بسبب الاضطهادات المستمرة منذ أواخر عهد الناصر محمد، مما دفع الجراكسة إلى تناسي عصبيتهم وإلى تحريض أخوانهم الترك اليلبغاوية على الثورة معهم على السلطان شعبان، وحين ازداد خطر هؤلاء الثوار من اليلبغاوية أشار الأمراء الأتراك على الأشرف شعبان بضرورة القضاء عليهم، فقام الأشرف شعبان بنفي العناصر الثورية منهم وكان من ضمنهم برقوق الجركسي وخوشداشه بركه الجوباني[4] التركي إلى الكرك سنة 769هـ/1368م[5].

أما اليلبغاوية الذين بقوا في القاهرة عند السلطان الأشرف شعبان كالأمير منكلى بغا[6] والأمير طشتمر الدوادار فقد بذلوا جهدهم لدى السلطان للإعفاء عن زملائهم اليلبغاوية، وقد تكللت جهودهم بالنجاح عندما أطلق الأشرف شعبان سراحهم سنة 773هـ/1371م بشرط عدم السماح لهم بالعودة إلى مصر، فتوجه إثر ذلك برقوق وبركه إلى بلاد الشام حيث خدموا هناك عند الامير منجك اليوسفي[7] نائب الشام، وبقوا هناك الى أن طلب الاشرف شعبان المماليك اليلبغاوية

---

[1] ابن خلدون، ديوان المبتدأ والخبر، ج5، ص517، ابن إياس، بدائع الزهور، ج1، ق2، ص3.

[2] المقريزي، السلوك لمعرفة دول الملوك، ج3، ق1، ص134، عمر، دولة الظاهر برقوق وابنه في مصر، ص 14.

[3] ضومط (انطوان خليل)، الدولة المملوكية التاريخ السياسي والاقتصادي والعسكري، دار الحداثة، بيروت، ط1، 1980م، ص119.

[4] الأمير زين الدين بركة بن عبد الله الجوباني اليلبغاوي: رفيق الظاهر برقوق وخشداشه ثم غريمه، وكان شجاعاً كريماً مهاباً، توفي سنة 782هـ/1380م، انظر ابن تغري بردي، المنهل الصافي، ج3، ص351.

[5] ابن خلدون، ديوان المبتدأ والخبر، ج5، ص522، عبد السيد، قيام دولة المماليك الثانية، ص34.

[6] الأمير منكلى بغاالشمسي: أحد مماليك الناصر محمد، تولى نيابة الشام في ظل حكم الأشرف شعبان، ثم انتقل إلى مصر وتولى الأتابكية فيها سنة 769هـ/1368م وظل بها حتى توفي سنة 774هـ/1371م. انظر سليم، عصر سلاطين المماليك، ص126.

[7] الأمير سيف الدين منجك اليوسفي: من أهم رجالات عصر المماليك لكثرة ما شغل من المناصب والعديد من الأعمال، تولى في عهد السلطان الناصر حسن وزيرا واستدارا بالديار المصرية، ثم عينه نائبا لطرابلس، وما لبث أن دب الخلاف بينه وبين السلطان فاختفى سنة 760هـ/1358م حتى عفا عنه السلطان، وفي عهد الأشرف شعبان تولى نيابة الشام وتوفي سنة 776هـ/1374م. انظر ابن اياس، بدائع الزهور، ج1، ق2، ص149، سليم، عصر سلاطين المماليك، ص110.

اليلبغاوية الى القاهرة سنة 775هـ/1373م، ويفسر تصرف الأشرف شعبان هذا من إدراكه لمبدأ أن القوة وحدها هي التي تحدد تأهل السلطان لتولي الحكم، وقوة شخصية السلطان وقوة مماليكه الخاصة أيضا، لذلك كان السلطان بمجرد توليه السلطنة يعمل على تقوية نفسه بالإكثار من مماليكه، الأمر الذي دفع الأشرف شعبان لطلب المماليك اليلبغاوية فيكثر مماليكه بهم من جهة، ويحقق نوعا من التوازن بين طوائف المماليك لديه، فتقدم برقوق في جملتهم واستقر في خدمة ولدي السلطان علي وحاجي وشغل منصب أمير عشرة[1].

أخذ دور برقوق يتصاعد على مسرح الأحداث السياسية والعسكرية في الدولة المملوكية واشترك في معظم المؤامرات التي دبرت للإطاحة بكبار الأمراء أو حتى السلاطين أنفسهم، اذ كان من جملة المماليك الذين اشتركوا بالمؤامرة على السلطان الاشرف شعبان سنة 778هـ/1376م والتي انتهت بمقتله، وعلى الرغم من ضآلة وظيفته فإنه ينسب إليه أنه أسهم بشكل بارز في نجاح هذه المؤامرة وهذا إن دل على شيء فإنه يدل على مدى الذكاء والدهاء الذي كان يتمتع به برقوق، ومقدرته في الوصول إلى هدفه عن طريق ضرب القوى المنافسة بعضها ببعض[2].

وكان من الطبيعي بعد أن تقاسم المماليك اليلبغاوية الوظائف الكبرى في الدولة بعد المؤامرة التي أطاحت بالسلطان الأشرف شعبان أن يدب الخلاف بينهم، نتيجة للتنافس حول الاستئثار بالسلطة، وأن يؤدي هذا التنافس إلى الصدام بين كبار الأمراء مادام الجالس على العرش صبياً صغيراً، وقد ابتدأ الخلاف بين الأميرآخور أينبك البدري[3] والأتابك قرطاي[4] قرطاي[4] الذي انتهى بتمكن أينبك من القضاء على قرطاي ونفيه إلى بلاد الشام سنة 779هـ/1377م، وغدا أينبك الأتابك عوضاً عن قرطاي فأنعم على برقوق مع بركة الجوباني بإمرة طبلخاناه دفعة واحدة[5].

أما قرطاي الذي أبعد إلى بلاد الشام فقد عاد وثار مع نواب بلاد الشام ضد السلطان علي بن الاشرف شعبان وبالأصح ضد تسلط الأتابك أينبك، وكان برقوق ذكيا وماكرا فلم يظهر أطماعه في السلطة عندما التحق بخدمة الأتابك أينبك وهومن كبير اليلبغاوية، فقد زين له الانفراد بالسلطة ومحاربة المماليك الثائرين في الشام، وكان هدفه أن يضعف

[1] ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج11، ص46، عبد السيد، قيام دولة المماليك الثانية، ص39، ومنصب أمير عشرة : وظيفة عسكرية في الجيش المملوكي، صاحبها من الطبقة الثالثة، ونصيب كل منهم في الحرب عشرة فرسان ومن هذه الطبقة يكون صغار الولاة، انظر القلقشندي، صبح الأعشى، ج5، ص15.

[2] عمر، دولة الظاهر برقوق وابنه في مصر، ص 21.

[3] الأمير سيف الدين أينبك بن عبدالله البدري، كان أمير طبلخاناه في أيام الأشرف شعبان ثم أصبح أتابكاً للعسكر حتى ثاروا الجند ضده فطلب الأمان من يلبغا الناصري وسجن في الاسكندرية حتى مات سنة 780هـ/1378م. انظر ابن تغري بردي، المنهل الصافي، ج3، ص221، ابن اياس، بدائع الزهور، ج1، ق2، ص222، وأميراخور: هو المشرف على اصطبل السلطان وخيوله. انظر القلقشندي، صبح الأعشى، ج4، ص18.

[4] الأمير قرطاي بن عبدالله الأشرفي: عندما كان أتابكاً دبر له أينبك حيلة عندما أقام قرطاي وليمة قدم له أينبك المشروب وكان فيه بنجاً، فلم شربه قرطاي والأمراء تبنجوا فهجم أينبك ومماليكه عليهم وقتل معظمهم أما قرطاي فنفي إلى بلاد الشام ومات سنة 779هـ/1377م. انظر ابن تغري بردي، المنهل الصافي، ج3، ص223،

[5] أمير الطبلخاناه: هو المسؤول عن الآلات الخاصة بالملوك وهي عبارة عن طبول متعددة معها أبواق وزمر ، وتختلف أصواتها على ايقاع ايقاع مخصوص، وتدق كل ليلة بالقلعة بعد صلاة المغرب. انظر القلقشندي، صبح الأعشى، ج4، ص8، ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج11، ص129، ابن اياس، بدائع الزهور، ج1، ق2، ص204، عمر، دولة الظاهر برقوق وابنه في مصر، ص 21،

الفريقين ويتخلص من أينبك، فخرج أينبك مع السلطان والأمراء ومن بينهم برقوق وبركة الجوباني ويلبغا الناصري[1] الى بلاد الشام سنة 779هـ/1377م.

هنا وجد برقوق أن الفرصة مواتيه للتخلص من منافسه الجديد أينبك فوضع خطة عهد بتنفيذها الى الأمير يلبغا الناصري وبركة الجوباني عندما تمكنوا من إثارة الجند ضد أينبك الذي لاذ بالفرار، وهذا ما أكده ابن اياس عندما أشار إلى أن "رأس هذه الحركة برقوق العثماني"[2] الذي ترقى بعدها إلى رتبة أمير مائة وهي أعلى درجات الإمارة في الدولة[3].

وهكذا استطاع برقوق التخلص من الأتابك أينبك ولم يبق أمامه للوصول الى هدفه سوى منافسين اثنين الأمير يلبغا الناصري والأمير بركة الجوباني، ولابد من أجل الوصول الى السلطنة أن يحظى بالأتابكية أعلى رتبة بالجيش المملوكي وبالتالي السيطرة التامة على شؤون الدولة، إلا أن الظروف لم تكن مهيئة لاستلامه هذا المنصب، لذلك أظهر التعاون مع يلبغا وبركة ليستعين بهما ريثما يصل الى هدفه، ومن ثم يتخلص منهما في الوقت المناسب، فاتفق مع بركه على اختيار يلبغا أتابكاً للعسكر في محاولة لدفعه إلى واجهة الأحداث تمهيداً للتخلص منه كما حدث من قبل مع الأتابك أينبك، في الوقت الذي ترقى فيه برقوق إلى أمير آخور وبركة إلى أمير مجلس[4].

يبدو أن برقوق اعتمد خطة تسليم منصب الأتابكية لكل أمير يود التخلص منه فعلى الرغم من استلام يلبغا الأتابكية إلا أن النفوذ والقوة كان لبرقوق وبركه حيث كان يلبغا لين الجانب لدرجة أن برقوق وبركه تمكنا بإقناعه بالقضاء على الأمراء اليلبغاوين المنافسين الاقوياء لهم وتعيين أتباعهم في المناصب التي خلت، ولم يتوقف الأمر عند هذا الحد بل تمكن برقوق من التلاعب بيلبغا واستغلال ضعف شخصيته ولين جانبه حتى اقنعه بترك مكانه في الاسطبل السلطاني وينتقل إلى مكان آخر على الرغم من أهمية هذا المكان كونه مقر الخيل والسلاح[5]، ليحل مكانه برقوق ويسيطر على الاسطبل السلطاني، واستمر الوضع على هذا الحال الى أن قبض برقوق على يلبغا الناصري وأرسله الى سجن الاسكندرية ثم أفرج عنه وتولى نيابة طرابلس،[6] فأصبح برقوق أتابكاً للعسكر في الدولة المملوكية سنة 779هـ/1377م[7]، وبالتالي صاحب السلطة الفعلية فيها وأضحى بركة رأس نوبة[8].

---

[1] الأمير يلبغا الناصري اليلبغاوي الأتابكي: هو مملوك يلبغا العمري وصاحب الوقعة مع الملك الظاهر برقوق والتي سوق يتم ذكرها بالتفصيل، قتل سنة 793هـ/1391م. انظر سليم، عصر سلاطين المماليك، ص133.

[2] ابن اياس، بدائع الزهور، ج1، ق2، ص208،.

[3] ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج11، ص124، ابن خلدون، ديوان المبتدأ والخبر، ج5، ص530، ابن حجر العسقلاني، أنباء الغمر، ج1، ص152، عبد السيد، قيام دولة المماليك الثانية، ص43، عمر، دولة الظاهر برقوق وابنه في مصر، ص22.

[4] ابن خلدون، ديوان المبتدأ والخبر، ج5، ص530، 531، طقوش، تاريخ المماليك في مصر وبلاد الشام، ص344، وأمير مجلس هو الأمير الذي يتولى أمر مجلس السلطان وتنظيمه، انظر القلقشندي، صبح الأعشى، ج4، ص18.

[5] ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج11، ص130، عبد السيد، قيام دولة المماليك الثانية، ص44.

[6] استمر في ولاية طرابلس حتى سنة 781هـ/1389م حيث يروي ابن تغري بردي ان برقوق وبركه اتفقا على اعادة يلبغا الى القاهرة واستقر أمير سلاح، انظر ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج11، ص138، ابن اياس، بدائع الزهور، ج1، ق2، ص249

[7] سليمان، العنصرية وأثرها في الجيش المملوكي، ص98.

[8] رأس نوبة: الأمير الذي يتولى الإشراف على المماليك السلطانية وكبح جماحها ومعاقبة من يقترف ذنباً، وقد جرت العادة أن يكونوا أربعة أمراء واحد مقدم ألف وثلاثة طبلخاناه. انظر القلقشندي، صبح الأعشى، ج4، ص18.

لم تكد تهدأ الأحوال في القاهرة حتى ظهرت بوادر النزاع بين أقوى شخصيتين في الدولة بين برقوق الجركسي وبركه التركي، فقد استكثر كل منهما من مماليك جنسه، ووصل بهم الأمر إلى أفراد كل منهما ديواناً لنفسه يتولى شراء المماليك من بني جنسه والنفقة عليهم[1].

في البداية لم يكن برقوق مستعداً لمواجهة بركة لأنه كان يدرك أن المواجهة معه يعني مواجهة الأتراك الذين يساندونه لذلك عمد إلى توحيد صفوف الجراكسة للوقوف الى جانبه في هذا الصراع، وفي الوقت الذي كان فيه برقوق منهمكاً بذلك تفاجأ بثورة أحد أقاربه أمير السلاح إينال اليوسفي الجركسي الذي كان شديد الكراهية لبركه وطالما حرض برقوق ضده، وعندما لم يستجب له برقوق استغل فرصة سفر بركه إلى إقطاعه في البحيرة سنة781هـ/1379م، وغياب برقوق وهاجم الاسطبل بمساعدة المماليك السلطانية ثم أخذ بنهب بيت برقوق وخزانته وخدع صغار مماليك برقوق ووعدهم بالمال والاقطاعات إن هم ساعدوه في خطته[2] .

كادت هذه الحركة المعادية تفسد خطط برقوق لولا أنه عاد مسرعا إلى القاهرة، وتمكن من إخماد الفتنة وقبض على الأمير سلاح إينال اليوسفي وسجنه، كذلك قبض على الذين اشتركوا معه في التمرد، ويبدو أن قيام أحد الجراكسة هذه المرة بالتمرد على برقوق دفعه للشك بمدى إخلاص بني جنسه وعنصره له، الأمر الذي جعله يستدعي يلبغا الناصري من طرابلس ليتسلم إمرة السلاح بدلا عن إينال، واتفق مع بركه على توزيع الوظائف التي شغرت بين أنصارهما، بكن وسرعان ما تأزم الموقف بين الأميرين نتيجة لتدخل كل منهما في اختصاصات الآخر، فلجأ برقوق إلى القضاة من أجل التوسط بينهما حتى يظهر بمظهر المسالم ونجح بفضلهم من انتزاع الصلح مع بركه سنة 782هـ/1380م[3].

هذا الصلح لم يدم طويلاً وهو كان في الأساس مجرد هدنه حتى يستجمع كل طرف قواه لتقوم المعركة الفاصلة بينهم ليتمكن برقوق بفضل قوة أنصاره من انتزاع النصر من بركه وسجنه في الإسكندرية، ليس هذا فقط، بل بلغ من دهاء برقوق أنه طلب من نائب الاسكندرية الأمير صلاح الدين بن عزام التخلص من بركه في السجن، الأمر الذي أثار مماليك بركة فانكر برقوق الأمر وأخبرهم أن هذا من فعل نائب الاسكندرية لما كان بينه وبين بركه من عداء، فانصاع مماليك بركه له مقابل تسليمهم ابن عزام لينتقموا منه[4].

من الواضح أن انتصار برقوق أدى الى ارتفاع شأن الجراكسة خاصة بعد قيامه بتصفية مماليك بركة بالقتل أو النفي واستبدالهم بالجراكسة فجلب نحو ألفي مملوك سنة 782هـ/1380م من بينهم والده وأقاربه وهذا ما أكده ابن اياس" وقد صار غالب الأمراء جراكسة من أتباع الأتابك برقوق"[5]، فكانت مهمة جلب عائلة برقوق وأبناء عمومته من أولوياته التي التي لم يتخل عنها، إذ بذل لتجار الرقيق أموالاً كثيرة لإحضار والده وأقاربه من بلاد الجركس إلى مصر، وجعل تاجره فخر الدين عثمان بن مسافر على رأس هذه المهمة، وخصه بالكثير من العطايا فتمكن من جمعهم وأحضر عدداً كبيراً

[1] المقريزي، السلوك لمعرفة دول الملوك، ج3، ق1، ص336، عمر، دولة الظاهر برقوق وابنه في مصر، ص 24.

[2] ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج11، ص137، طقوش، تاريخ المماليك في مصر وبلاد الشام، ص346.

[3] ابن اياس، بدائع الزهور، ج1، ق2، ص255. ابن حجر العسقلاني، انباء الغمر، ج1، ص210. ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج11، ص142.

[4] ابن اياس، بدائع الزهور، ج1، ق2، ص273. ابن خلدون، ديوان المبتدأ والخبر، ج5، ص533، 535، عبد السيد، قيام دولة المماليك المماليك الثانية، ص52.

[5] ابن اياس، بدائع الزهور، ج1، ق2، ص309.

من أقارب برقوق إلى القاهرة، وخرج برقوق والأمراء لاستقبالهم واحتفل بقدومهم سنة 782هـ/1379م، فقربهم منه ومنح والده إمرة ألف وأجلسه في صدر المجلس فضلاً عن توليته لبقية الأمراء من أبناء عمومته في مناصب مهمة[1].

وعلى ما يبدو أن تركيز برقوق على جلب أقاربه من بلادهم الأصلية بشكل خاص وأبناء جنسه من العنصر الجركسي بشكل عام لم يكن بدافع جمعهم أو تحسين أحوالهم المعيشية التي يعانون منها في بلادهم، وإنما من أجل تقوية عصبيته في الدولة الجديدة التي صبغها بالطابع الجركسي، لاسيما أنها قامت على أنقاض دولة ذات أصول تركية من ناحية، فضلاً عن التفوق العددي للأتراك مقارنة بالأجناس الأخرى وبقائهم متنفذين فيها من ناحية أخرى.

وفي تلك الأثناء توفي السلطان علي بن الأشرف شعبان وتسلطن بعده أخوه حاجي بن شعبان سنة 783هـ/1381م[2]، وكان صبياً صغيراً فعهد إلى برقوق بتدبير شؤون الدولة، الذي أخذ يعد العدة للوصول إلى السلطنة بزيادة أعداد أتباعه من الجراكسة، والاهتمام بأمور البلاد الداخلية والخارجية عن طريق إلغاء بعض المكوس وتحسين النقد مما أنعش حالة البلاد الاقتصادية، ومن الناحية الخارجية فقد واجه التركمان الذين أغاروا على حلب سنة 783هـ،/1381م الأمر الذي كان له صدى كبير لدى الناس[3].

كل هذا كان تحت أنظار المماليك الأتراك الذين كانوا يترقبون ازدياد نفوذ برقوق بعين القلق وكانوا يخشون من وصوله للسلطة لذلك دبروا مؤامرة للقضاء عليه، لكن عيون برقوق التي كانت في كل مكان كشفت المؤامرة، وبادر برقوق الى إلقاء القبض على المتآمرين فكانت هذه المؤامرة إعلانا لزوال سلطان العنصر التركي وإيذانا بقيام دولة المماليك الجراكسة [4].

وتجنباً لمزيد من المؤامرات دعا الأتابك برقوق كل من الخليفة والقضاة الأربعة وسائر الأمراء الى اجتماع بدار السلطنة أعلن فيه بأن البلاد بحاجة الى سلطان قوي يحمي البلاد ويكون قادر على ادارة شؤونها، والسلطان حاجي صغير السن لا يقوى على فعل ذلك، وهذه عادة كانت عند المماليك فإنهم كانوا عندما يريدون الاستيلاء على السلطنة تحججوا بصغر سن السلطان، وذهاب هيبة البلاد، ولابد من سلطان قوي رشيد يقضي على الفوضى في الداخل والخارج، فتم خلع السلطان حاجي ورشح الحاضرون برقوق لتولي السلطنة باعتباره الحاكم الفعلي للبلاد، فتولى السلطنة سنة 784هـ/1382م وتلقب بالملك الظاهر[5]، وهذا كان بفضل دهائه وحنكته أولاً، وبفضل تأييد المماليك الجراكسة له ثانياً، وقد وصف المؤرخ ابن اياس تدرج برقوق في المناصب حتى وصوله الى السلطنة، فيقول "ومن العجائب أن برقوق كان جنديا من مماليك يلبغا العمري، فصار أمير طبلخاناه في يوم واحد، ثم بقي مقدم ألف، ثم بقي أميرآخور

---

[1] ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج11، ص254، ابن اياس، بدائع الزهور، ج1، ق2، ص278.

[2] السلطان حاجي بن الأشرف شعبان بن حسين بن الناصر محمد بن قلاوون، تولى السلطنة بعد أخيه المنصور علي وعمره آنذاك حوالي عشر سنوات، لقب بالصالح، بقي في السلطنة حتى خلعه برقوق سنة 784هـ/1382م، ثم أعيد للحكم سنة 791هـ/1388م وخلعه برقوق ثانية وتوفي سنة 814هـ/1411م. انظر ابن تغري بردي، المنهل الصافي ، ج5، ص48.

[3] ابن خلدون ، ديوان المبتدأ والخبر، ج5، ص536، ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج11، ص168، سليمان، العنصرية وأثرها في الجيش المملوكي، ص101، طقوش، تاريخ المماليك في مصر وبلاد الشام، 346، عمر، دولة الظاهر برقوق وابنه في مصر، ص26.

[4] ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج11، ص173، عبد السيد، قيام دولة المماليك الثانية، ص57، طقوش، تاريخ المماليك في مصر وبلاد الشام، 349.

[5] المقريزي، السلوك، ج3، ق2، ص477، ابن اياس، بدائع الزهور، ج1، ق2، ص317. ابن خلدون، ديوان المبتدأ والخبر ج5، ص538، ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج11، ص176، 181، ابن حجر العسقلاني، إنباء الغمر، ج1، ص257.

كبير، كل ذلك في مدة شهرين فكانت لوائح السلطنة لائحة عليه والسعد طوعا لديه، وكان ما جرى من مسك هؤلاء الأمراء توطئة وتمهيدا لبرقوق، حتى ملك البلاد والعباد، وقام بدولة الجراكسة"[1].

خاتمة:

عدت سلطنة الظاهر برقوق نهاية الدولة المملوكية البحرية التي كان أصول حكامها من الترك، وبداية دولة المماليك الجراكسة التي كان حكامها من الجنس الجركسي، ولعل هذا الاختلاف البسيط في الجنسية هو الذي دفع المؤرخون إلى عدها دولة ثانية مغايرة للدولة المملوكية البحرية، ولكن ما حدث في الاجتماع الذي عقد بدار السلطنة والذي انتهى باختيار برقوق لا يوحي بوجود فاصل تاريخي أو بتغير جذري في تاريخ المماليك، فانتقال السلطة إلى المماليك الجراكسة يعني تحول مركز القوة من فئة إلى أخرى من المماليك، لأن قوة مركز أتباع الأتابك برقوق وعدد أتباعه وأهليته لتولي السلطنة كان أساسياً في مثل هذا التحول، بالإضافة إلى ذلك فإن كلا الدولتين لم يتبعا في نظام الحكم إلا نظاماً واحداً في حقيقته، على الرغم من أن النظام الوراثي كان أكثر مراعاة في دولة المماليك البحرية، بينما كثر في دولة المماليك الجراكسة الثورات والفتن والمؤامرات الداخلية وخاصة في عهد الظاهر برقوق.

Reference:

1-Ibn Iyas (Muhammad Ibn Ahmad Al-Hanafi, Bada'i al-Zuhur in Waqih al-Dahur, Tah: Muhammad Mustafa Ziyada, Library of the Arab Books Revival House, Cairo, I 1, 1975 AD

2-Ibn Aybik Al-Dawadar (Abi Bakr Bin Abdullah), Al-Durar Treasure and Al-Ghurr Mosque, Tah: Ulrich Harman, Wadood Center for Manuscripts, Cairo, 1st floor, 1973 AD.

3-Ibn Aibak Al-Safadi (Salah Al-Din Khalil), Al-Wafi Al-Fiat, Tah: Ahmad Al-Arnaout, Turki Mustafa, The Arab Heritage Revival House, Beirut, 1st edition, 2000 AD.

4-Ibn Taghry Bardi (Jamal Al-Din Abu Al-Mahasin), the bright stars in the kings of Egypt and Cairo, Tah: Muhammad Hassan Shams Al-Din, Dar Al-Kutub Al-Alami, Beirut, Lebanon, 1992 AD.

-Ibn Taghry Bardi (Jamal Al-Din Abu Al-Mahasin), Al-Manhal Al-Safi and Al-Matoufi after Al-Wafi, Open: Muhammad Amin, Taq: Saeed Ashour, The Egyptian Book Authority, Cairo, 1st edition, 1984 AD،

-Ibn Taghry Bardi (Jamal Al-Din Abu Al-Mahasin Yusef), The Evidence of Evidence for Al-Manhal Al-Safi, Tah: Fahim Muhammad Shaltout, Dar Al-Kutub Al-Masria, Cairo, 2nd Edition, 1998 AD, C2

6-Ibn Khaldoun (Abdel Rahman bin Muhammad), Diwan of the novice and the news in the history of Arabs and Berbers and those of their contemporaries with the greatest interests, Tah: Khalil Shehadeh, Bitter: Suhail Zakar, Dar Al-Fikr, Beirut, 2000 AD.

7-Ibn Duqmaq (Ibrahim bin Muhammad bin Aydamer Al-Ala'i), the precious substance in the functioning of the caliphs, kings and sultans, Tah: Saeed Abdul-Fattah Ashour, passed by: Ahmed Al-Sayyid Daraj, Center for Scientific Research and the Revival of Islamic Heritage, Umm Al-Qura University, Saudi, I 1, 1982 AD

8-Ibn al-Muqafa (Sawiris), the history of Egypt through the manuscript of the history of the patriarchs, by: Abdel Aziz Gamal El-Din, The General Authority of Cultural Palaces, Cairo, 1st floor, 2012 AD.

[1] **ابن اياس، بدائع الزهور، ج1، ق2، ص212.**

9-Al-Qaramani (Ahmad bin Yusef), State News and the effects of the first in history, Open: Ahmed Hoteit, Fahmy Saad, World of Books, Beirut, 1st edition, 1992 AD
10-Al-Qalqashandi (Abi Al-Abbas Ahmad), Subh Al-Aasha in Writing Al-Insha, The Egyptian Book House, Cairo, I 1, 1922 AD
11-Al-Nuwairi (Shihab Al-Din Ahmad), The End of the Lords in the Arts of Literature, Open: Nagl Fawaz, Hikmat Fawaz, Dar Al-Kutub Al-Alami, Beirut
12-Al-Maqrizi (Taqi al-Din Ahmad), Behavior to Know the Countries of the Kings, Opened: Muhammad Mustafa Ziyada, Dar Al-Kutub Al-Masria, Cairo, I 1, 1936
-Al-Maqrizi (Taqi al-Din Ahmad), exhortations and consideration in mentioning plans and monuments, Open: Ayman Fouad Al-Sayed, Al-Furqan Islamic Heritage Foundation, London, 2000 AD.

قائمة المراجع:

2-Doumit (Antoine Khalil), The Mamluk State, Political, Economic and Military History, Dar Al-Hadatha, Beirut, 1st floor, 1980 AD.
3-Ezzat (Youssef), History of the Caucasus, Arabization: Khostov Abdel Hamid Ghaleb Bey, Istanbul Press, Istanbul, 1912AD.
4-Al-Natour (Hussam Muhammad Ismail), the Mamluk state during the reign of Sultan Al-Zahir Barquq, University of Jordan, 1998AD..
5-Omar (Ali), the state of Al-Zahir Barquq and his son in Egypt, The Geniuses of Thought Company, Cairo, 1st floor, 2008AD..
6-Selim (Mahmoud Rizk), The Mamluk Sultans' Era and Their Scientific and Literary Outputs, The Ideal Press, Egypt, 2nd edition, 1962AD.
7-Sorour (Muhammad Jamal al-Din), the state of Bani Qalawun in Egypt, the political and economic situation in particular, Dar Al-Fikr Al-Arabi, Cairo.
8-Suleiman (Ahmed Abdel Karim), Racism and its impact on the Mamluk Army, Arab Renaissance House, Cairo, I 1, 1988 AD.
9-Tarkhan (Ibrahim), Egypt in the era of the Circassian Mamluks, the Egyptian Renaissance Library, Cairo, 1960AD.
10-Taqosh (Muhammad Suhail), History of the Mamluks in Egypt and the Levant, Dar Al-Nafees, Beirut, Lebanon, 1st edition, 1997 AD.
11-Ziyan (Amal Hamid), Prince Alamuddin Singer Al-Shuja'i and the conflict over the Mamluk Sultanate, College of Arts Magazine, Cairo University, vol. 11, p. 2, 2011AD.